

❖ في الحلقة الماضية لم أستطع أن أكمل حديثي فيما يرتبط بشؤونات وبحالات وفحاوى الطهارة.. لذا في هذه الحلقة أحاول أن أُلخص ما تقدّم من حديث كي أشرع في حلقة يوم غد في فقرة جديدة.

❖ مرّ الحديث في أنّهم صلوات الله عليهم حقيقة القبلة، وهم الكعبة، وهم البيت المعمور، وأنهم العرش، وأنهم صلاة المؤمنين وصيامهم وأنهم أوقات صلواتنا وأنهم شهر رمضان، وأنهم ليلة القدر - فما بالك بسائر الأيام؟! - وأنهم فاتحة الكتاب، وهم الماء الأوّل، وهم الماء الطهور، وهم الطهور الأعظم.. وأنهم وأنهم... وهذه المضامين وردت بصريح كلماتهم الشريفة. طهارة الماء وطهوريته لا تتحقق إلا برضاهم (لا تتحقق إلا أن تكون عيون رضاهم قد نظرت إلى ذلك الماء كي تتحقق طهارته وطهوريته).

❖ وقفة عند حديث صادق العترة عليه السلام في [الكافي الشريف ج:8]: (لو أنّ غير وليّ عليّ أتى الفرات وقد أشرف ماؤه على جنبه وهو يزخّ زخيخا، فتناول بكفّه وقال: بسم الله، فلمّا فرغ قال: الحمد لله، كان دمًا مسفوحاً أو لحم خنزير).

● قول الرواية (غير وليّ عليّ) الإمام عليه السلام استعمل هذا الوصف ليبيّن أنّ جوهر الحديث ومضمونه مرتبط بالولاية.. (وليّ عليّ) هو المُتلبّس والمُرتبط بالولاية والمُعتمد بالولاية.. (وليّ عليّ) هو الذي لا ينفك عن ولاية عليّ.

● الإمام في الرواية اختار الحديث عن ماء الفرات لما في الفرات من خصوصية في ثقافة أهل البيت عليهم السلام من جهة طهارته، ومن جهة بركته، ومن جهة فضل الغُسل فيه وفضل الشُّرب منه، وفضل مائه، وفضل التطهّر فيه.. والروايات وفيرة في فضل ماء الفرات.

● قول الرواية (وقد أشرف ماؤه على جنبه) أي: يفيض على جنبه.. يعني ما كان النهر مُنحسراً، وإمّا كان النهر ممتلئاً بالماء حتّى أنّه فاض وأشرف الماء على جنبه.

● قول الرواية (وهو يزخّ زخيخا) أي يتدافع الماء بقوة، وذلك يُشير إلى نظافته وطهارته - بحسب الأحكام، وبحسب تعاليمهم صلوات الله عليهم

● قول الرواية (فتناول بكفّه وقال: بسم الله، فلمّا فرغ قال: الحمد لله) يعني أنّ هذا الشخص الذي جاء يشرب هو على الإسلام - بحسب ادّعاءه - ولذا أدّى الطقوس المُستحبّة في شرب الماء.. فبرغم أنّه أتى بهذه الطقوس من البسمة والحمد، إلا أنّ الرواية تقول (كان دمًا مسفوحاً أو لحم خنزير)! يعني لو توضع بهذا الماء لما كان هذا الوضوء تطهّر ، وإمّا كان تنجّس!

● هذه الرواية بالغة الخطورة، وهي تطبيق لقانون موجود في الرواية التالية من [الكافي الشريف ج:1] - باب أنّ الأرض كلّها للإمام: (عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلتُ له: أما على الإمام زكاة؟ فقال: أحلت يا أبا محمّد - أي ذهبّت باتجاه خاطئ - أما علمت أنّ الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائزٌ له ذلك من الله. إنّ الإمام يا أبا محمّد لا يبيت ليلة أبداً ولله في عنقه حقّ يسأله عنه)

❖ ملاكات الأحكام - أي قيمتها التي تتجلّى في جلب المنافع أو الحفاظ على المصالح أو في دفع المضار أو في الوقاية منها - هذه الملاكات ترتبط ارتباطاً مُباشراً بالمعصوم صلوات الله عليه .. فنحن نقراً في الزيارة الجامعة الكبيرة (وذلّ كلّ شيء لكم) وملاكات الأحكام هي جزء من هذه العبارة الواردة في الزيارة الجامعة.

لذا ورد في الروايات أنّه ما من دعاء ملحون يصل إلى العرش، وإمّا يُصحّح.. ومن هنا نفهم ما جاء في أحاديث العترة الطاهرة عن الحكمة من وجود الإمام بيننا وأثار وجوده بيننا.. فالروايات تقول: كي ما إذا نقص المؤمنون شيئاً أمّهم، وإذا ما زادوا شيئاً ردّهم إلى الحدّ الصحيح.. وهذا تطبيق للعنوان العام في هذه القاعدة (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) لأنّ ملاكات الدين بكلّه في بُعد (الغيبي، الشهودي، الحسي، في عقائده، في أحكامه، في أخلاقه، في كلّ ما يرتبط به) ملاكات كلّ هذه العناوين مُرتبطة بالمعصوم عليه السلام تدور معه، وهذا معنى (علي مع القرآن والقرآن مع عليّ)، و(عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ).

ومن هنا هذا الماء الطاهر ستكون طهارته مسلوقة من دون رضا الإمام.. ورضا الإمام وإباحة الإمام وفحوى إذن الإمام تترتّب في الواقع الخارجي على ولايته.

ومن هنا قال الإمام الصادق (لو أنّ غير وليّ عليّ أتى الفرات... إلخ الرواية) فكان ماء الفرات بالنسبة له دمًا مسفوحاً أو لحم خنزير.. هذا في حال الشرب أو التطهّر أو في سائر الاستعمالات لأنّ الأرض كلّها للإمام.

● ومن هنا سيتجلى المعنى الذي أشرت له في الحلقة الماضية بخصوص (توقيع الإمام الحجّة المعروف بتوقيع اسحاق بن يعقوب) الذي اشتمل على إباحة الإمام الحجّة للخمس في زمان الغيبة (وأما الخمس فقد أُبيح لشيعتنا وجعلوا منه في حلّ إلى وقت ظهور أمرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث) فالإمام هنا أعطى الإباحة لتطيب ولادتهم ولا تخبث.

● ومن هنا أيضاً جاء جواب الأئمة في الروايات التي يُسألون فيها عن الجهة التي من خلالها دخل الزنا على القوم.. والجواب: لأنّ الأئمة عليهم السلام لم يُبيحوا لهم، لذلك خبث ولادتهم.. فحتّى لو كان هناك عقد شرعي ولكن طالما أنّ هذا العقد لا يقع تحت إباحة الإمام فإنّ لهذا العقد شأن آخر.

❖ الخلاصة من كلّ ما تقدّم:

أنّ المتوضّئ حين يتوجّه إلى الماء يُريد أن يتوضّأ، فهذا الماء لن يُكسبه طهارة مالم يكن هذا المتوضّئ قد نال الإجازة في إباحة هذا الماء، ولن ينال هذه الإجازة إلا بولاية عليّ.

إذاً على المُصلي أن يُحقّق الطهارة التي يُريدها الله قبل الصلاة، ولن يُحقّق الطهارة حتّى يُحقّق ولاية عليّ في ذاته..

❖ وقفة عند حديث الإمام الصادق عليه السلام في [الكافي الشريف: ج8]: (لا يُبالي الناصب صلّى أم زنى، وهذه الآية نزلت فيهم: عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية)..

يعني جميع الأفعال والحركات في عملية الزنا مُساوية لجميع الحركات والأفعال في الصلاة! (مع الفارق الكبير بحسب المظهر) ولكن الجوهر، الملاك، الحقيقة مرتبط بولاية المعصوم صلوات الله عليه.. هكذا أراد الله، هذا هو برنامج الخلافة. الله أمر الملائكة بالسجود فسجدوا لآدم، والأحاديث تُخبرنا أنّ السجود لآدم لم يكن لآدم وإمّا كان آدم قبلة.. أما سجود الملائكة فكان لمضمون آدم، ومضمون آدم ولاية محمّد وآل محمّد التي مضمونها المُختصر المُشرق المنير والموجز: ولاية عليّ. هذا العنوان هو الذي يُحبّه رسول الله صلّى الله عليه وآله (وليّ علي، شيعة علي).

● هذه الآية التي ذكرها الإمام في الرواية {عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية} هذا المعنى قد ينطبق على كثير ممّن يقولون نحن شيعة.. لأنّ الأئمة وصفوا مجاميع عديدة من الشيعة بأنهم نواصب (عاملة ناصبة) يعني هم يعملون ولكنهم ناصبوا آل محمّد العداء، ولم يتوجّهوا إلى الجهة التي يُريد الله تعالى من العباد أن يتوجّهوا إليها، وإمّا أداروا وجوههم إلى الجهة التي لا يُريدها الله، تماماً كما صنع إبليس حين رفض السجود لآدم واقترح على الله أن يسجد له عوضاً عن ذلك سجدة لآلاف السنين.. ولكن الله تعالى لم يقبل ذلك؛ لأنّ القانون في العبادة هو: أنّ الله يُحبّ أن يُطاع ويُعبّد من حيث هو يُريد لا من حيث يُريد العبد ويقترح على الله، ولذا نقرأ في دعاء الندبة الشريف (أين باب الله الذي منه يُؤتى) الله يُؤتى من باب آل محمّد ولا يُؤتى من غيره، هم السبيل الذي من سلك غيره هلك، هم الناطقون عن الله تعالى ولا يُوجد ناطق غيرهم.

● في دعاء الاستئذان الذي يُقرأ في زيارة المعصومين صلوات الله عليهم وخصوصاً في زيارة السرداب الشريف، نقرأ: (فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسموات، وأرسل دُموعنا بخشوع المهابة، وذلك جوارحنا بذلّ العبودية وفرض الطاعة حتّى نقرّ بما يجب لهم من الأوصاف..)

يعني أنّ الله تعالى استعبدنا بزيارة أئمتنا.. فلن يُعطينا هويّة العبودية - وهي أعلى درجات القرب من الله - إلا بعبوديتنا لمحمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم.. لا بدّ أن ننال أولاً هذه الصفة فعلاً (صفة العبوديّة لمحمّد وآل محمّد) حتّى تُمنح الهويّة من أننا عبيد لله تعالى.

● قول الدعاء (ودلّل جوارحنا بذلّ العبودية وفرض الطاعة) هذا الحال يجري في الزيارة، في الوضوء، في الصلاة، في جميع الأحوال.. فهذه مجموعة كاملة للعبادات، والزيارة جزء من أجزائها: الوضوء والغسل والصلاة وسائر التفاصيل الأخرى. فالمتوضّئ حين يتوجّه إلى الوضوء لا بدّ أن يتوجّه بهذه النية، بهذا التصوّر.. هذا هو معنى قول الروايات (لك من صلاتك ما أقبلت عليه).

● فتذكّر هذا المعنى حينما تتقدّم إلى وضوئك وهو أنّك تتطهّر بولاء عليّ لا بالماء.. إذا حذف (ولاء عليّ) صار الماء نجاسة ولن تستطيع أن تتطهّر من دون الاعتقاد بولاية عليّ.. هذا هو الجوهر، هذا هو الذي يُريده آل محمّد.. أمّا هذا الماء فهو رمز وطقس ظاهري، والرموز والطقوس الظاهرية لا قيمة لها إذا انفصلت عن حقائقها.

● فإذا أراد المتوضّئ أن يُدرك مضمون الوضوء وأن يُقبل على وضوئه إقبالاً كما يُريده إمام زماننا، فعليه أن يستحضر هذا المعنى: أنّ ولاء عليّ هو الذي يُحقّق له الطهارة وليس الماء؛ لأنّ منبع الطهارة حقيقة اسمها عليّ.. وتتلّمس هذا المعنى في زيارات سيّد الشهداء عليه السلام حين نخاطبه ونقول: (أشهد أنّك طهرٌ طاهر مطهّر، من طهر طاهر مطهّر، طهرت وطهرت بك البلاد، وطهرت أرض أنت فيها، وطهرت حرمك) هنا عبق عليّ وعبق فاطمة وعبق محمّد صلوات الله عليهم أجمعين .

● ربّما تغيب هذه المعاني عن المؤمن وهو يتوضّأ، ولكن لأنّه على ولاء عليّ فإنّ الماء سيُطهّره، ولكنّه لن يكون في دائرة المُقبلين على وضوئهم وصلاتهم.

الإقبال يتحقق حينما نتوجه لهذا المعنى: أن ولاء عليّ هو الذي يُحقق لنا الطهارة.. استحضار هذا المعنى سيُشدّد علاقتك بإمام زمانك.

علماً أنّك إذا أقبلت على وضوئك بشكل صحيح فهذا سيُعينك على الإقبال على صلاتك بشكل صحيح، والروايات تقول: (لك من صلاتك ما أقبلت عليه)

● فإذا ما تقدّم المتوضّئ إلى الماء تقدّمه إلى رحمة الله - كما يقول صادق العترة - لابد أن يعيش هذا المضمون: أن حقيقة وضوئه وحقيقة طهارته هي بولاء عليّ وأن هذا الماء لن يُطهره إلا باعتقاده بولاية عليّ.

(ولاية عليّ) هو العنوان الواضح لولاء محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم .. وهذا المضمون كلّه يجري تحت الخيمة الزهرائية وكأننا نرسم صورة لحديث الكساء اليماني.. فكما أنّ كساء فاطمة أحاط بمحمّد وآله الأطهار، كذلك خيمة أمومتها للمؤمنين وقيمومتها فهي القيمة.. فحينما نكون في هذا الفناء الفاطمي الأرحب، حينما نكون تحت هذه الخيمة الزهراء تتحقق لنا الطهارة.

حينما يتوجه المتوضّئ إلى وضوئه في هذا الجو، فإنّه سيتمكّن بعدها أن يُقبل في صلاته بنحو يجعل صلاته مُثمرة - وإن لم يكن في كلّ الأوقات - بدلاً من أن تُلف صلاته وتُضرب في وجهه وتدعو عليه وتقول: (ضيعتني ضيعك الله).

● أنا أقول لأولئك الذين يصرون على أهميّة الصلاة، وينادون دوماً: الصلاة الصلاة .. أقول لهم: الصلاة من دون مضمونها الحقيقي لا قيمة لها، وإمّا ستُلف وتُضرب في وجوهكم وتدعو عليكم وتقول: (ضيعتني ضيعك الله)

■ ولاء محمّد وعليّ حقيقته هو ولاء إمام زماننا، إذ لا انفكاك بين الولاية المهديّة والولاية المحمّدية والولاية العلوية حتّى في ظواهر الأمور الحسيّة في عالم الشهادة فضلاً عن حقائق عالم الغيب.

(وقفه عند مقطع من رواية لإمامنا السجّاد عليه السلام في [بحار الأنوار: ج52] تُبيّن هذا المعنى).. تقول الرواية وهي تُحدّثنا أنّ جبرئيل يأتي إمام زماننا بفرس يُقال له البراق:

(ويجيئه بفرس يُقال له البراق فيركبه ثمّ يأتي إلى جبل رضوى، فيأتي محمّد وعليّ فيكتبان له عهداً منشوراً يقرؤه على الناس، ثمّ يخرج إلى مكة والناس يجتمعون بها..)

يعني حتّى التفاصيل الجزئية إلى حدّ المنشور والخطاب لا يوجد انفكاك بين محمّد وعليّ وبين إمام زماننا.. ومن هنا كرّرت هذا المضمون في الحلقات السابقة وفي هذه الحلقة من أنّ الطهور الأعظم هو ولاية محمّد وعليّ، وهي في حقيقتها ولاية إمام زماننا عليه السلام .

■ وقفة عند حديث الإمام الكاظم عليه السلام مع البطائني [الكاظمي الشريف: ج8] البطائني يسأل الإمام عن حديث رواه أبو بصير وهو يدور حول إمامنا الباقر، والإمام الكاظم يُصدّق هذا الحديث.. وهو:

(أنّه - أي الإمام الباقر - كان إذا وعك - أي مرض - استعان بالماء البارد فيكون له ثوبان: ثوبٌ في الماء البارد وثوبٌ على جسده يُراوح بينهما، ثمّ يُنادي حتّى يُسمع صوته على باب الدار: يا فاطمة بنت محمّد، فقال: صدقت..)

الإمام الباقر يفعل هذا لنا ولكلّ من يصل إليه هذا الحديث، وإلا فإنّ الإمام حقيقته هو جزء من فاطمة صلوات الله وسلامه عليهما

● هناك رمزيّة واضحة جدّاً في حديث أهل البيت وهي: أنّ الحمى هي حظّ المؤمن من نار جهنّم.. مثلما جاء في روايتنا من أنّ نار الدنيا هي من نار جهنّم، ولكنّها عُسلت في سبعين بحر (فهذا العالم وهذا الوجود وُجد على أساس التعدّد في المظاهر وعلى كثرة الطبقات وعلى التجليات التي لا انتهاء لها - كما أشرت في الحلقات السابقة -).. وإمامنا الباقر عليه السلام يدفع شرّ الحمى - التي هي صورة ومظهر من المظاهر الجهنمية التي تتناسب مع هذا العالم - يدفعها بالاستغاثة بفاطمة.. ففاطمة هي التي تطفم شيعتها ودزيتها من النار وعن النار وعن كل ما يرتبط بالنار من مظاهرها.

● الذنوب والسيئات والمعاصي هي مظاهر جهنمية إبليسية، فإبليس مخلوق ناري، والنار من مظاهر جهنّم.. والمعاصي مظاهر إبليسية، والصلاة - كما جاء في الروايات - هي باب لرحمة آل محمّد، يُفتح هذا الباب في أوقات معيّنة في كلّ يوم ليمنح العبد فرصة حتّى يغسل أدرانته.. فأدران الذنوب والمعاصي هي صور إبليسية، والصور الإبليسية صور جهنمية.. فإذا توجّهنا إلى فاطمة فإنّ هذه الأدران تزول كما تزول الحمى بالاستغاثة بفاطمة.. هذه هي الخيمة الزهرائية التي تحدّثت عنها.. هذا هو مضمون الطهارة والوضوء في ثقافة آل محمّد الأطهار.

❁ مرور سريع على نماذج من أدعية آل محمّد وأحاديثهم الشريفة.

■ وقفة عند الدعاء المُستحبّ قراءته عند سماع الأذان في [مُستدرك الوسائل: ج4] نقلاً عن الشيخ الطوسي في كتابه المبسوط: حين يقول المؤدّن: لا إله إلا الله، يُستحبّ للعبد أن يقول: (وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله، رضيّتُ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً، ومحمّداً رسولاً، وبالأئمة الطاهرين أئمة) ويُصليّ على محمّد وآله ثمّ يقول: (اللهم ربّ هذه الدعوة

التامة، والصلاة القائمة، آتٍ مُحَمَّدًا الوسيلة والشفاعة، والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته وارزقني شفاعته يوم القيامة) فهنا ذكرُ مُحَمَّدٍ والأئمة عليهم السلام في حال الاستماع للمؤذّن وهو يُؤذّن.. (وهذا نموذج وإلا فالأدعية كثيرة).

● ملاحظة: إذا ما قارنا هذا النص مع الأدعية التي تُقرأ في قنوات المخالفين ومساجد المخالفين سنجد التحريف واضح.. بل حتى إذا قارنا هذا الدعاء ببقية نصوص الأدعية في كُتُبنا سنجد فرقا.. وهذا يدلنا على أنّ يدأ عبثت في هذه الأحاديث.

■ وقفة عند الدعاء الذي يُقرأ بين الأذان والإقامة في [الفقه الرضوي]

جاء فيه: (وتقول بين الأذان والإقامة في جميع الصلوات: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، صلّ على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، وأعطِ مُحَمَّدًا يوم القيامة سُؤلَه، آمين رب العالمين) سُؤل مُحَمَّدٍ يوم القيامة هو الشفاعة لأُمَّته وشيعته. وكما تلاحظون هذا المقطع ليس فيه المضامين الأخرى الموجودة في الأدعية المتقدمة التي تتحدّث عن علو مراتب النبي.

■ ثم يقول الدعاء (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وأقدمهم بين يدي حوائجي كلّها، فصلّ عليهم، واجعلني بهم وجهياً في الدنيا والآخرة ومن المقربين، واجعل صلواتي بهم مقبولة، ودعائي بهم مُستجاباً، وامن علي بطاعتهم يا أرحم الراحمين...)

وهذا القسم أيضاً من الدعاء واضح أنّه تمّ العبث فيه وحُذف منه ذكر آل مُحَمَّدٍ صلوات الله عليهم بعد ذكر النبي، فالدعاء بكلمة مُرتبط بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وسباق الدعاء هو الذي يُشير إلى ذلك، فالعبارات تتحدّث عن مجموعة وليس مُفرد فتقول: (وأقدمهم بين يدي حوائجي كلّها، فصلّ عليهم، واجعلني بهم وجهياً، واجعل صلواتي بهم مقبولة) فكما تلاحظون أنّ الأدعية حدث فيها عبث.. ودائماً العبث يكون في حذف آل مُحَمَّدٍ!

■ وقفة عند حديث إمامنا الصادق عليه السلام في [الكافي الشريف: ج3] وهو يُحدّثنا عن دعاء ندعو به قبل الشروع في الصلاة: (إذا قمت إلى الصلاة فقل: اللهم إني أقدم إليك مُحَمَّدًا بين يدي حاجتي، وأتوجه به إليك، فاجعلني به وجهياً عندك في الدنيا والآخرة ومن المقربين، اجعل صلواتي به مقبولة وذنبي به مغفورا ودعائي به مُستجاباً إنك أنت الغفور الرحيم) أنت كيف تتوجه بِمُحَمَّدٍ إلى الله من دون أن تنظر إلى مُحَمَّدٍ وتتوجه إليه؟ وهل يُمكن أن تكون وجهياً برسول الله وأنت لست متوجهاً إليه؟

هل يُمكن أن يقول الداعي (اجعل صلواتي به مقبولة... إلخ) وهو لم يتوجه إلى رسول الله؟ هذه الأدعية بالمُجمل - برغم العبث الواضح فيها - تصنع للصلوات جواً يربطه بال مُحَمَّدٍ عليهم السلام.. وكل هذه المضامين تتعاقب مع المضمون السابق الذي تحدّث عنه في جوهر الوضوء.

فنحن نأتي بعد الوضوء لنجعل من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ جهة كي نتوجه بهم إلى الله كي تُقبَل صلواتنا.. فالمدار الأوّل والأخير هم.. فهل نحن نتعامل معهم فعلاً بهذا المُستوى من التعامل؟ أم أنّ الشيعة يتعاملون مع آل مُحَمَّدٍ كما يتعاملون مع الصيدلية؟ (حينما يحتاجون إلى الدواء يذهبون إلى الصيدلية، وحينما لا يحتاجون إلى الدواء لا يذهبون إلى الصيدلية)

■ وقفة عند هذه الفقرات من الزيارة الجامعة الكبيرة، تقول:

(مُحتجب بذمتكم مُعترف بكم مؤمنٌ بآياكم مُصدّق برجعتمك منتظرٌ لأمركم مُرتقبٌ لدولتكم آخذٌ بقولكم عاملٌ بأمركم مُستجيرٌ بكم زائرٌ لكم لائذٌ عائذٌ بقبوركم، مستشفعٌ إلى الله عزّ وجل بكم، و متقرّب بكم إليه، و مُقدّمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي في كلِّ أحوالي وأموري، مؤمنٌ بسرّكم وعلانيتكم وشاهدكم وغائبكم وأولكم وأخركم ومفوّضٌ في ذلك كلّه إليكم، ومُسلمٌ فيه معكم، و قلبي لكم مُسلمٌ و رأبي لكم تَبَعٌ و نصرتي لكم مُعدّة..)

■ إلى أن تقول الزيارة: (فمعكم معكم لا مع غيركم..)

هذه المعية هل تنقطع في مكان من الأمكنة أم لا؟ حينما نُصلي نكون معهم أو لا؟ حينما نتوضأ نكون معكم أم لا؟ كيف تكون معيتنا معهم ونحن في الصلاة؟ وكيف تكون معيتنا معهم حين التوجه إلى الصلاة أو أثناء الصلاة؟ أليس بهذه المضامين التي بيّنتها؟ حينما نكون معهم على طول الخط ستكون هذه العقيدة ثابتة.. أما إذا كنّا نتعامل معهم كما نتعامل مع الصيدلية (عند الحاجة) فإنّ العقيدة لن تكون ثابتة.. المسائل الثابتة الإنسان عند الموت ينسأها ويبتلى بالعديلة عند الموت، ولهذا نحن في الأدعية نستعيد بالله من العديلة عند الموت، ومعنى العديلة عند الموت هو أنّ الشيطان يتسلط على الإنسان لحظة موته فيأخذه بعيداً عن جادة الحق فيعدل عن الحق.

■ في سورة إبراهيم آية 27: {يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} في أحاديث أهل البيت القول الثابت هو ولاية عليّ.

هناك ثبات في الدنيا وهناك ثبات في الآخرة.. الثبات في الدنيا هو هذا المضمون الذي تحدّث عنه الزيارة الجامعة الكبيرة (فمعكم معكم لا مع غيركم) هذه المعية كيف تتحقق ما لم يكن هناك حضور قلبي مع مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ - على الأقل في المواطن المهمة - كما في الوضوء، كما في التهيا والاستعداد للصلاة، كما في الصلاة، كما في شهر رمضان (عند نيّة الصيام، عند الإفطار) على الأقل في الأوقات المهمة في حياتنا.. هذه المعية كيف تتحقق ما لم نكن بهذا الوصف وهذه الأحوال التي أشرت إليها؟

● قول الله تعالى في الآية 24 من سورة إبراهيم وما بعدها {ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون\* ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار\* يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ { هذه شجرة الولاية، هذه الزهراء.. فَإِنَّ الشَّجَرَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الزَّهْرَائِيَّةُ.. فَاطِمَةُ هِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ.

هذا القول الثابت هو هذه الشجرة الثابتة تفيض علينا القول الثابت (لُنُبِّشِرْ أَنْفُسَنَا بِأَنَّهَا قَدْ طَهَرْنَا بِوَلَايَتِكَ).. هذا القول الثابت هو هذه المعية المقدسة (فمعكم معكم لا مع غيركم) لا يمكن أن تتحقق هذه المعاني من دون أن نُدمن العيش في أجوائهم صلوات الله عليهم .

■ مَرَّ عَلَيْنَا فِي الْحَلَقَاتِ السَّابِقَةِ مِنْ أَنَّ الْوُضُوءَ فِي بُعْدٍ مِنْ أَعْبَادِهِ الرَّمْزِيَّةِ: هُوَ أَنَّ أَبَوْنَا آدَمَ، تَوَجَّهَ إِلَى الشَّجَرَةِ وَأَكَلَ مِنْهَا.. وَالْوُضُوءَ هُوَ تَطْهِيرٌ رَمْزِيٌّ لِتِلْكَ الْأَعْضَاءِ الَّتِي اشْتَرَكْتَ فِيهَا قَامَ بِهِ أَبَوْنَا آدَمَ.

■ وَقَفَّةٌ عِنْدَ مَقْطَعٍ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ فِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ يُحَدِّثُنَا عَنْ خُطَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِآدَمَ بَعْدَ الْمَعْصِيَةِ، يَقُولُ لَهُ: (وَأَنْتَ عَصَيْتَنِي بِأَكْلِ الشَّجَرَةِ، وَبِالتَّوَاضُعِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ تَفْلِحُ كُلُّ الْفَلَاحِ، وَتَزُولُ عَنْكَ وَضْمَةُ الذَّلَّةِ، فَادْعِنِي بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ لِذَلِكَ. فَدَعَا بِهِمْ، فَأَفْلَحَ كُلُّ الْفَلَاحِ مَا تَمَسَّكَ بِعُرْوَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ)

التواضع لمحمد وآل محمد ليس هو التواضع الأخلاقي؛ لَأَنَّ التَّوَاضُعَ بِالْمَعْنَى الْأَخْلَاقِيَّ يَكُونُ لِلنَّظِيرِ وَلَيْسَ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فَنَحْنُ عِبِيدُهُمْ.. أَمَّا التَّوَاضُعُ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَهُوَ كَمَا فِي زِيَارَةِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نُخَاطِبُهُ وَنَقُولُ: (عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ الْمُقَرَّرُ بِالرَّقِّ وَالتَّارِكُ لِلْخَلْفِ عَلَيْكُمْ) هَذَا هُوَ التَّوَاضُعُ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ.. إِضَافَةٌ إِلَى مَعْنَى التَّسْلِيمِ، فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ عَبْدًا وَلَكِنَّهُ أَبَقِي! نَحْنُ عِبِيدٌ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ رَغْمَ أَنْوْفَانَا وَلَكِنَّا أَبَقُونَ.. فَهَنَّاكَ عِبُودِيَّةً، وَهَنَّاكَ تَسْلِيمًا.

التواضع لمحمد وآل محمد في أول درجاته وأدناها (التسليم).

● قَوْلُ الرَّوَايَةِ (وَتَزُولُ عَنْكَ وَضْمَةُ الذَّلَّةِ) هَذِهِ الذَّلَّةُ جَاءَتْ بِسَبَبِ الْمَعْصِيَةِ، لِأَنَّ الذُّنُوبَ تَكُونُ مُدَّةً لِلْإِنْسَانِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، وَحَتَّى بَيْنَ الْخَلْقِ لَوْ أَطَّلَعُوا عَلَى عِيُوبِهِ، وَلِذَلِكَ نَقَرْنَا فِي دَعَاءِ عَرَفَةَ:

(يَا مَنْ سَتَرَنِي مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ أَنْ يَزْجُرُونِي - بِسَبَبِ نَقْصِي وَعَيْبِي -، وَمِنَ الْعَشَائِرِ وَالْإِخْوَانِ أَنْ يَعْزُرُونِي، وَمِنَ السَّلَاطِينِ أَنْ يَعْاقِبُونِي، وَلَوْ أَطَّلَعُوا يَا مَوْلَايَ عَلَى مَا أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي إِذَا مَا انظُرُونِي، وَلِرَفْضُونِي وَقَطْعُونِي، فَهِيَ أَنَا ذَا يَا إِلَهِي بَيْنَ يَدَيْكَ يَا سَيِّدِي خَاضِعٌ ذَلِيلٌ حَصِيرٌ حَقِيرٌ...)

● الْوُضُوءُ وَالصَّلَاةُ وَالتَّقَرُّبُ وَالدَّعَاءُ لِأَنَّ الْوُضُوءَ بِهَذَا الْجَوْ، لِأَنَّ الْوُضُوءَ تَحْتَ سَقْفِ الْخِيْمَةِ الزَّهْرَائِيَّةِ.. نَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ كِي نُرْضِيَ رَسُولَ اللَّهِ، فَالْقُرْآنُ مِنْ أَوْلِهِ إِلَى آخِرِهِ طَاعَةُ اللَّهِ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ وَقَرْنِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ بِمَعْصِيَةِ رَسُولِهِ.

■ وَقَفَّةٌ عِنْدَ كَلِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ فِي آخِرِ لِحْظَةٍ مِنْ لِحْظَاتِ حَيَاتِهِ وَهُوَ بِمَحْضَرِ عَلِيٍّ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَالتَّحْدِيثُ فِي [عَوَالِمِ الْعُلُومِ - عَوَالِمِ الزَّهْرَاءِ: ج2]: (ثُمَّ وَاللَّهِ يَا فَاطِمَةُ لَا أَرْضِي حَتَّى تَرْضِي، ثُمَّ لَا أَرْضِي حَتَّى تَرْضِي)

كل هذا الحديث وكل هذه المضامين نحاول أن نضبط أنفسنا وعقيدتنا أن نكون تحت الخيمة الزهراوية إرضاءً لرسول الله صلى الله عليه وآله .

■ وَقَفَّةٌ عِنْدَ حَدِيثِ إِمَامِنَا الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي [الكَافِي الشَّرِيفِ: ج1]

(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: فَلَا نَمِنُ بِعِبَادَتِهِ وَدِينِهِ وَفَضْلِهِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ عَقْلُهُ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ، إِنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ، خَضْرَاءَ، نَضْرَةً، كَثِيرَةَ الشَّجَرِ، ظَاهِرَةَ الْمَاءِ - أَيْ كَثِيرَةَ الْمَاءِ -، وَإِنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَّ بِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَرْنِي ثَوَابَ عَبْدِكَ هَذَا، فَأَرَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ، فَاسْتَقَلَّهُ الْمَلَكُ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ اصْحَبْهُ، فَأَتَاهُ الْمَلَكُ فِي صُورَةِ إِنْسِي، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ عَابِدٌ بَلْغَنِي مَكَانَكَ وَعِبَادَتَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ، فَأَتَيْتُكَ لِأَعْبُدَ اللَّهَ مَعَكَ، فَكَانَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ لَهُ الْمَلَكُ: إِنَّ مَكَانَكَ لَتَرْتَهُ - أَيْ جَمِيلٌ - وَمَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْعِبَادَةِ، فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنَّ مَكَانَنَا هَذَا عَيْبٌ، فَقَالَ لَهُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: لَيْسَ لِرَبَّنَا بِهَيْمَةٍ، فَلَوْ كَانَ لَكَ حِمَارٌ رَعِينَاهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ فَإِنَّ هَذَا الْحَشِيشَ يَضِيعُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: وَمَا لِرَبِّكَ حِمَارٌ؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ لَكَ حِمَارٌ مَا كَانَ يَضِيعُ مِثْلَ هَذَا الْحَشِيشِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْمَلَكِ: إِذَا أَتَيْتَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ)

● سَوَّالٌ: هُوَ الْوَالِدُ الَّتِي يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنْ أَهْمِيَّتِهَا بَعِيدًا عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ وَالْمُضَامِينِ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ فِي أَحْسَنِ أحوَالِهِمْ حَالِ هَذَا الَّذِي يُرِيدُ حِمَارًا يَأْكُلُ الْحَشِيشَ!؟

■ وَقَفَّةٌ عِنْدَ حَدِيثِ آخِرِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ فِي [الكَافِي الشَّرِيفِ: ج1]

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَنَانَ، قَالَ: ذَكَرْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلًا مُبْتَلَى بِالْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ، وَقُلْتُ: هُوَ رَجُلٌ عَاقِلٌ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَأَيُّ عَقْلٍ لَهُ وَهُوَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ؟! فَقُلْتُ لَهُ: وَكَيْفَ يُطِيعُ الشَّيْطَانَ؟ فَقَالَ: سَلُّهُ: هَذَا الَّذِي يَأْتِيهِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ لَكَ: مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانَ).

● قول الرواية (رجلاً مُبتلياً بالوضوء والصلاة) المراد: هم الشككاون وما أكثرهم في وسط المتدينين خصوصاً في وسط طلبية العلم الديني.. ومثل هؤلاء يتصورون أنهم حين يفعلون هذه الأفعال أنهم يحتاطون في دينهم والحال أن فعلهم من عمل الشيطان.

■ وقفة عند حديث لرسول الله في [الكافي الشريف: ج1]: (ما قَسَمَ الله للعباد شيئاً أفضل من العقل؛ فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل - أي يبقى في بيته ساكناً - أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من عقول جميع أمته، وما يُضمَر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين - أي العباد الذين بذلوا أقصى جهدهم في العمل والعبادة -، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الأبواب الذين قال الله تعالى: {وما يتذكر إلا أولوا الأبواب}). وأولوا الأبواب هم أصحاب الحكمة كما يبين ذلك إمامنا الصادق: (عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً} فقال: طاعة الله ومعرفة الامام). بهذا المضمون نستطيع أن نعرف معنى الصلاة.. كما قال إمامنا الباقر (من لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقنا).

❁ انتهى حديثنا عن الطهور وعن الوضوء والحديث يتواصل في ثقافة الصلاة الزهراوية.